كتب

يعيدنا كتاب فتحي مهديو «دراسات مختارة» الصادر باللغة الصربية - الكرواتية - البوسنية، إلى الماضي القريب - البعيد الذي شهد طفرة في العلاقات البلقانية العربية، حيث اختار مؤلّفه إعادة إصدار أبحاث كما نُشرت في الأصل عندما كانت يوغوسلافيا دولة واحدة

فتحي مهديو عن تاريخ الدراسات العربية غرب البلقان

القرآن وسير مترجميه

محمد م. الأرناؤوط

يتميّز غرب البلقان بانفتاحه المبكّر على البحر المتوسط عندما تحوّل إلى حوض للمسلمين بعد فتح الأندلس وصقلية واقتحام البحر الأدرياتيكي لحصار راغوصة أو دبروفنيك، بينما كان شرق البلقان تحت سيطرة بيزنطة والدول السلافية الطامحة إلى وراثتها (بلغاريا وصربيا). وفي هذا السياق، تشهد الوثائق العربية المحفوظة في دوبروفنيك (التي تتبع الآن كرواتيا) على مدى العلاقات التي كانت بين هذه الجمهورية التجارية وبلدان حوض المتوسط من المغرب وحتى بلاد الشام. في هذا المجال (غرب المتوسط) تأسّست أيضاً أول أقسام الدراسات الشرقية: من بلغراد (1926) في صربيا، إلى سراييفو (1950) في البوسنة، وبريشتينا (1973) في كوسوفو، وصولاً إلى تيتوفو (2008) في مقدونيا الشمالية. ولدينا من هذه الخلطة الجغرافية/ الأكاديمية البرفسور فتحي مهديو (1944)، الذي ولد قرب تيتوفو، ودرس الاستشراق في بلغراد، وكان من مؤسسي قسم الاستشراق في جامعة بريشتينا، بل من مؤسسي الاستشراق الألباني بالمفهوم العلمي، تنظيراً وإنتاجاً علمياً غزيراً يجمع الدراسات عن الأدب العربي والمخطوطات الشرقية والترجمات للأدب العربي من الشعر الجاهلي وحتى سعدي يوسف.

ومن هذا الإنتاج الغزير صدر له أخيراً عن «معهد الدراسات الشرقية في بريشتينا» كتاب «دراسات مختارة» باللغة الصربية / الكرواتية/البوسنية، كما نُشرت في الأصل عندما كانت يوغوسلافيا دولة واحدة، ليكون هذا الكتاب الآن جسراً للتواصل القديم/ الجديد بين هذه الجهات المعنية بالدراسات العربية والإسلامية في غرب البلقان. ويبدو لنا أن أهم ما هو موجود أو مهم للقارئ العربي يشمل ترجمات القرآن والمخطوطات الشرقية وترجمات الأدب العربي إلى اللغة الألبانية.

في المحور الأول، الذي يتزامن مع مرور مئتي سنة على أول محاولة لترجمة القرآن إلى اللغة الصربية/الكرواتية/البوسنية، لدينا دراسات مرجعية حول الترجمات الأولى للقرآن إلى هذه اللغة، وبالتحديد حول دوافعها الثقافية والسياسية القومية التي تركت أثراً كبيراً لدى المسلمين. فقد كان علماء المسلمين في البلقان، كما يوضّح مهديو، قد انتهوا بسبب جمود الاجتهاد إلى أن «ترجمة القرآن ذنب عظيم»، ولذلك رأوا أن الوسيلة الوحيدة لتواصل المسلمين مع القرآن هي تعلّم العربية وقراءة القرآن بها.

ولكن مع الإصلاح الديني في أوروبا الوسطى المجاورة للحدود العثمانية وترجمة الإنجيل إلى اللغات القومية، وبروز الأفكار والحركات القومية في البلقان التي تعظّم ما هو لغوي-ثقافي مشترك بين الشعوب كأساس للوحدة/ الدولة القومية المنشودة، برزت المحاولات الأولى لترجمة القرآن إلى اللغات البلقانية. ويُلاحظ هنا أن هذه الترجمات الأولى جاءت من قبل غير المسلمين، وبالتحديد من الشخصيات القومية المعروفة التي كانت تريد للمسيحيين أن يتعرّفوا إلى الكتاب المقدس لإخوانهم أو جيرانهم المسلمين.

وفي هذا السياق كان الباحث السلوفاكي يان تشابلوفيتش (1780-1847) الذي برز في فترة الحماسة للجامعة السلافية قد نشر في كتابه «سلافونيا وجزء من كرواتيا» الصادر في بودابست عام 1819 عن منطقة سلافونيا المجاورة للدولة العثمانية، التي كان يعيش فيها الكروات والصرب والبشناق نتيجة للحكم العثماني السابق، وقدّم لقرائه مقطعاً من القرآن في اللغة الصربية/ الكرواتية/ البوسنوية «لكي يقرأوا الإنجيل التركي».

ومع تطوّر الأفكار والحركات القومية في المناطق التي بقيت تحت الحكم العثماني، نجد أول ترجمة كاملة للقرآن صدرت في بلغراد 1895 على يد قائد الانتفاضة الصربية في البوسنة (1875) ميتو ليوبيبراتيتش، التي أدت إلى سلسلة تغيّرات كبيرة في المنطقة. فقد كان ليوبيبراتيتش يأمل بهذه الخطوة أن يكسر الحاجز النفسي - الثقافي مع المسلمين في البوسنة الذين كان يعتبرهم «محمديين من القومية الصربية»، وبالتالي كان يأمل ضمّ هؤلاء إلى الحركة القومية الصربية ضد الحكم العثماني. ومع أن استجابة البشناق أو البوسنيين المسلمين كانت فاترة للانتفاضة الصربية، إلا أن ليوبيبراتيتش أكمل عمله في ترجمة القرآن في بلغراد قبل وفاته في 1889. وقد حرص ليوبيبراتيش، الذي اعتمد على الترجمتين الروسية والفرنسية، على ترجمة دقيقة واقتصر تدخله على بعض التوضيحات في الهوامش وثلاث صفحات في النهاية تتضمن «بعض الأشياء والأسماء التي تذكر في القرآن ومكان ورودها»، أي إن المترجم كان حريصاً على عدم الإساءة إلى «الأخوة المسلمين» الذين كان يعوّل عليهم ضمن المشروع السياسي الصربي.

وينقل مهديو هنا المفاجأة الكبيرة التي أحدثتها هذه الترجمة الأولى للقرآن «في لغة كافرة» لدى «علماء المسلمين» في البوسنة، ولكن تطور الوعي الثقافي - القومي في البوسنة خلال الحكم النمساوي (1878-1918) مهّد للقبول التدريجي بفكرة ترجمة القرآن إلى اللغة البوسنية لكي يتمتع البوسنيون أيضاً بقراءته وفهمه في لغتهم القومية، حتى نجد لاحقاً تنافساً على ترجمة القرآن من لغات وسيطة أولاً ثم من اللغة العربية مباشرة على يد أشهر المتخصصين في الدراسات العربية والإسلامية في البوسنة (بسيم كركوت وأنس كاريتش وأسعد دوراكوفيتش وغيرهم).

وقد تكرّر الأمر نفسه مع ترجمة القرآن عند الألبان، الذين كانت غالبيتهم الساحقة من المسلمين، حيث بقي «علماء المسلمين» حتى مطلع القرن العشرين يصرّون على حُرمة ترجمة القرآن إلى الألبانية وضرورة تعلم العربية لقراءته. وفي هذا السياق يشير مهديو إلى مغزى قيام شخصية قومية ألبانية أرثوذكسية معروفة (إيلو ميتكو تشافزيزي) بترجمة القرآن إلى الألبانية في 1921. وفي هذه المرة أيضاً يبدو الدافع ثقافياً قومياً وليس عدائياً للمسلمين، حيث إن المترجم كان يعتبر أنّ القرآن لا يخصّ المسلمين (غالبية السكان) في ألبانيا، بل يخصّ أيضاً الثقافة القومية الألبانية باعتباره الكتاب المقدس لغالبية الأمّة الألبانية. ومن المثير هنا، كما يوضح مهديو، أن تشافزيزي كان يعرف أن «علماء المسلمين» كانوا يحرّمون ترجمة القرآن إلى الألبانية، ولكنه أراد بهذه الترجمة أن يبيّن «ما هو الغشاء الدقيق الذي يفصل ما بين المؤمنين: المسلمين الألبانيين من إخوتهم المسيحيين»، متمنياً أن يأتي بعده من يقوم بترجمة أفضل.

وكما كان الأمر في البوسنة، فقد أحدثت هذه الترجمة صدمة لدى «علماء المسلمين» في ألبانيا بعد أن كانوا قد غرسوا خلال قرون أن ترجمة القرآن «ذنب عظيم»، ولكن سرعان ما تقبّل الجيل الجديد من المثقفين المسلمين فكرة الترجمة وفتح هذا الباب لتنافس المتخصّصين في الدراسات العربية والإسلامية على ترجمة القرآن. وكما هو الأمر في البوسنة، فقد كانت هناك ترجمات مفسّرة للجيل الجديد من علماء المسلمين، ولكن الجيل الجديد من علماء الدراسات العربية والإسلامية في ألبانيا وكوسوفو فتح الباب أمام ترجمات علمية جديدة، ومنها ترجمة فتحي مهديو التي كانت أول ترجمة كاملة للقرآن من العربية صدرت في بريشتينا عام 1985. في المحور الثاني الذي اخترناه عن المخطوطات الشرقية في كوسوفو، لدينا دراستان في الكتاب، الأولى بعنوان «بعض المخطوطات العربية ذات الأصل البوسني المحفوظة في بريشتينا»، والثانية بعنوان «الإسلام عند الألبان في ضوء المؤلفات المخطوطة». ففي الدراسة الأولى نجد أن المؤلف يعتمد مقاربة جديدة لتوضيح الصلات الثقافية بين البوسنة وكوسوفو، حيث يعرّف بالمخطوطات الشرقية في كوسوفو التي ألفت أو قُرئت أو حظيت بتعليقات عليها في البوسنة ثم وجدت طريقها لتستقر في كوسوفو، حيث أصبحت الآن ضمن المكتبات العامة وشبه العامة. وأما في الثانية، فلدينا مقاربة أخرى تحاول أن تتعرّف إلى الإسلام عند الألبان من خلال المخطوطات التي تراكمت خلال الحكم العثماني الطويل (حوالى 500 سنة)، والتي تكشف بموضوعاتها عن المسار العام للإسلام لدى الألبان الذي يُدرج ضمن «الإسلام العثماني».

(كاتب وأكاديمي كوسوفي سوري)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

جسر ألباني للأدب العربي

خصّص فتحي مهديو جزءاً من كتاب «دراسات مختارة» لفحص تاريخ ترجمات الأدب العربي إلى الألبانية، فيذكر ترجمات قديمة، بعضها لا يزال مخطوطاً، مثل ترجمة الشاعر محمد تشامي (1784 - 1844) لقصيدة البردة للبوصيري. كذلك يمسح في كتابه الترجمات بناءً على الخط الزمني لتاريخ الأدب العربي، فيبدأ من امرئ القيس، وصولاً إلى الشعر العربي الحديث. ويذكر ان فوز نجيب محفوظ بنوبل عام 1988 كان له دوره في تنشيط الترجمات.

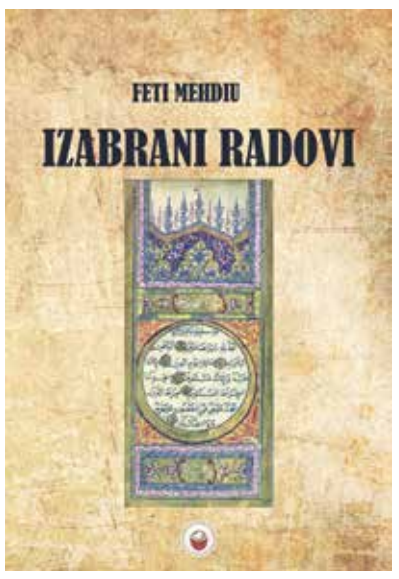

تأخّرت ترجمة القرآن بسبب فرض تعلّم العربية لقراءته

تشهد المخطوطات على عمق العلاقة بين العرب وشعوب البلقان

فتحي مهديو

نظرة أولى

صدر حديثاً عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» كتاب «موضوعات كردية سورية»، لعبد الباسط سيدا، ويجمع بين دفتيه أوراقًا بحثية قدّمها في مؤتمرات وفعاليات تناولت الموضوع السوري عمومًا، والمسألة الكردية السورية خصوصًا، بين عامي 2003 و2019. يشدّد الكتاب على ضرورة معالجة الموضوع الكردي السوري ضمن مشروع وطني سوري يشترك في صوغه جميع السوريين، على قاعدة احترام الخصوصيات والحقوق، والتشارك العادل في الإدارة والموارد، والقطع مع المشاريع العابرة للحدود الوطنية، ونبذ أي تعصب ديني أو مذهبي أو قومي أو أيديولوجي.

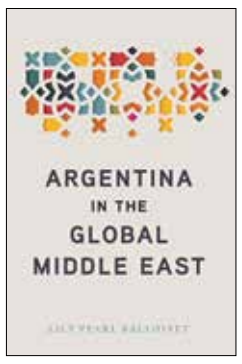

عن منشورات جامعة «ستانفورد»، صدر كتاب «الأرجنتين في الشرق الأوسط العالمي»، للباحثة وأستاذة التاريخ ليلي بيرل بالوفيه. في الكتاب توثيق لتاريخ أميركا اللاتينية وعلاقته ببلدان الشرق الأوسط الحديث من خلال أنظمة الهجرة العالمية. تسلّط بالوفيه الضوء على تقاطعات العرق والعلاقات بين المهاجرين والوطن. بدءًا من طفرة الهجرة في القرن التاسع عشر إلى ديناميكيات الهجرة في القرن الحادي والعشرين، يتناول الكتاب مواضيع الإنتاج الثقافي والنشاط المناهض للإمبريالية والشبكات المالية على مدار عدة أجيال من مجتمع الشتات.

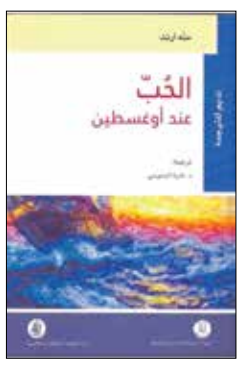

صدرت حديثاً عن داري «الروافد الثقافية» و«ابن النديم» ترجمة لكتاب «الحب عند أوغسطين»، للمفكرة الألمانية حنه آرنت، نقلته إلى العربية الباحثة التونسية نادرة السنوسي. الكتاب في الأصل هو أطروحة آرنت للدكتوراه التي قدمتها عام 1929، وفيها تأثرت باثنين من أساتذتها، هما مارتن هايدغر وكارل ياسبرز، وجمعت فيه مقاربات كل منهما لموضوعة الحب، وتتعامل فيه مع مفاهيم عن الحب في أعمال القديس أوغسطين، والتي ستظهر في أعمالها اللاحقة طوال حياتها. من بينها ما تطلق عليه آرنت «حب العالم»، و«الحب كرغبة»، و«حب الخالق» و«حب القرب».

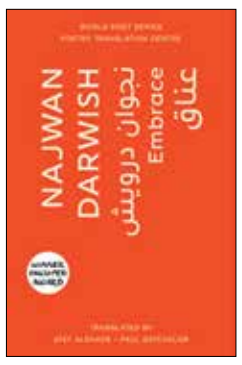

عن «مركز ترجمة الشعر» في لندن، صدرت مختارات شعرية مزدوجة اللغة بعنوان «عِناق» Embrace، للزميل الشاعر نجوان درويش، بترجمة عاطف الشاعر وبول بتشلر، بعد حصولها في ديسمبر/ كانون الأول 2019 على جائزة «PEN Translates» التي تُمنح لأبرز الأعمال غير المنشورة والمترجَمة إلى الإنكليزية. من القصيدة التي تحمل عنوان المختارات نقرأ: «مُرْتَبِكٌ ومُبَلَّلٌ/ يَدي تَمَزَّقَتْ وهِيَ تُحاوِلُ مُعانَقَةَ جِبالٍ ووديانٍ وسُهول/ والبَحْرُ الذي أَحْبَبْتُهُ أَغْرَقَني مِراراً/ وما كانَ جَسَدَ العاشِقِ صارَ جُثَّةً/ تَطْفو على المِياه... مُرْتَبِكٌ ومُبَلَّلٌ/ جُثَّتي هيَ الأُخرى/ تَمُدُّ ذِراعَها/ مُسْتَميتَةً/ لِعِناقِ البَحْرِ الذي أَغْرَقَها».

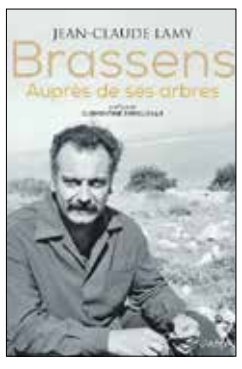

«براسنس.. إلى جانب أشجاره»، عنوان كتاب صدر مؤخراً عن منشورات «أرشيبل»، للباحث الفرنسي جان كلود لامي، وفيه يتناول تجربة الموسيقي الفرنسي جورج براسنس (1921 - 1981)، بدراسة ملامحه النفسية وأثرها ضمن الأغاني التي كان يلحّنها ويكتب نصوصها. يدرس لامي الفنان أيضاً كشاعر، حيث يستدعي أدوات النقد الشعري والبلاغة والأسلوبية لفهم عناصر جاذبية أعماله وتفسير حضورها إلى اليوم. يقدّم الكتاب أيضاً قراءة في الأماكن التي عاش فيها براسنس. كما اشتغل لامي على تقديم لائحة للكتب والأسطوانات التي امتلكها الموسيقيّ الفرنسيّ.

عن منشورات «سيريس» في تونس، صدر مؤخراً كتاب «حامد القروي: حياة في السياسة» (بالفرنسية) وهو عمل أشرف على إنجازه وتقديمه وجمع وثائقه عبد الجليل القروي حيث يقدّم صورة شاملة حول مشوار الطبيب ورجل الدولة التونسي (1927 -2020) الذي شغل منصب رئيس الحكومة التونسية بين 1989 و1999، أثناء حكم زين العابدين بن علي، وهي مرحلة شهدت ازدهاراً اقتصادياً كما مثّلت تونس استثناء للاستقرار الأمني في فترة شهدت اظطرابات لدى جيرانها، مثل الجزئر خلال ما يعرف بالعشرية السوداء وليبيا التي عرفت حصاراً جوياً.

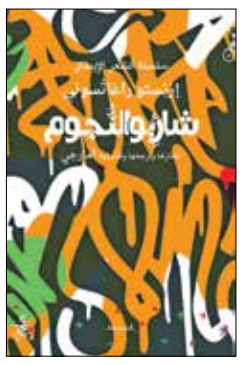

ضمن سلسلة «الشعر الإيطالي»، صدر عن «المتوسط» كتاب «شاربو النُّجوم»، وهو مختارات من أعمال الشاعر الإيطالي إرنستو راغاتْسوني (1870- 1920)، نقلها إلى العربية الشاعر والمترجم السوري أمارجي، الذي كتب في مقدّمة العمل: «في نصِّ راغاتسوني ثباتُ حياةٍ برمَّتها في الصَّهارةِ الشِّعريَّة؛ ولعلَّ هذا ما حدا ببعضِهم إلى القول بأنَّ شِعرَه يُقبَضُ عليه، غالباً، مِن خارجِ النَّص، أي مِن حياةِ الشَّاعرِ البرَّانيَّة». كما يشير المترجم إلى أن خروج راغاتْسوني عن الامتثاليَّة، وانهمامه بالتَّجاوز، كانَ ثمنهما، تهميشٌ نقديٌّ رفعَ الشَّاعرَ إلى مدرجِ الشُّعراء الملعونين.

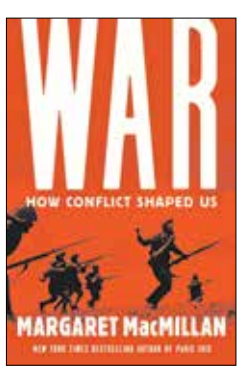

«الحرب.. كيف يشكّلنا الصراع»، عنوان الكتاب الذي صدر حديثاً عن منشورات «راندوم هاوس»، للمؤرخة الكندية مارغريت ماكميلان، التي تتناول الحرب كعنف منظّم أتى مع المجتمع المنظم وشكّل تاريخ البشرية ومؤسساتها الاجتماعية والسياسية وقيمها وأفكارها، وهي تعكس لغتها وذاكرتها الخاصة وتبرز أشنع وأنبل جوانب الإنسانية، في محاولة للإجابة عن تساؤلات مثل: متى بدأت الحرب لأول مرة؟ هل البشرية محكومة أن تحارب بعضها بعضاً، لماذا وصفت الحرب بأنها أكثر الأنشطة البشرية تنظيماً؟ لماذا يكون المحاربون دائمًا رجالًا؟ هل الحرب تحت سيطرتنا؟